المحاضرة الرابعة: أعلام الفكر الإصلاحي العربي

(محمد عبده – محمد رشيد رضا)

1. محمد عبده (*1849 . 1905* م)

1.1. نبذة عن حياته:

ولد الشيخ محمد عبده حسن خير الله في قرية ((محلة نصر)) بمركز ((شيراخيت)) من أعمال محافظة البحيرة في عام *1266* هـ (*1849* م)، بدأ تعليمه في سن السابعة من عمره القراءة والكتابة وحفظ القرآن، وفي سنة *1279* هـ (*1862* م) التحق بجامع الأحمدي بطنطا ليحضر دروس تجويد القرآن الكريم. لكنه بعد استكمل تجويد القرآن، قرر هجران الدراسة لأساليب التدريس العميقة التي صدته عن قبول الدروس فعاد إلى القرية سنة *1282* هـ (*1865* م) وتزوج وعزم على العمل بالزراعة مع أبيه وأخواته والانقطاع عن سلك التعليم، ولكن والده رفض ذلك، وقرر إعادته إلى الجامع الأحمدي في نفس العام.

في هذه الفترة التقى بالشيخ درويش خضر خال والده وهو صوفي كان على اتصال بالزاوية السنوسية، فألقى إليه ببعض من حكمة التصوف، وقاده إلى شيء من سلوك الصوفية، فعادت إليه الرغبة في طلب العلم وعاد إلى جامع الأحمدي، وبدأ يفكر في الذهاب إلى القاهرة كي يلتحق بالجامع الأزهر، وهو ما تم له ذلك في شهر شوال *1282* هـ (فبراير *1866* م). وكان يومئذ في الأزهر مجموعتان: مجموعة ذات توجه شرعي محافظ، وثانية ذات توجه صوفي أقل محافظة من الشرعيين، فحضر محمد عبده للتوجهين، فسمع الشرعيين المحافظين دروس المشايخ " عليش" و"الرفاعي" و"الجيزاوي" و"الطرابلسي" و"البحراوي"، لكنه انتمى للصوفيين، وكان رائدهم الشيخ "خسن رضوان" صاحب منظومة ((روض القلوب المستطاب))، وكان ضمن هذا التوجه الصوفي أيضا الشيخ "حسن الطويل" والشيخ " محمد البسيوني".

وعندما زار جمال الدين الأفغاني مصر للمرة الثانية سنة *1288* هـ (*1871* م)، اتصل به محمد عبده ولازم مجلسه منذ شهر المحرم من ذلك العام، وودع حلقات الدروس الأزهرية العقيمة في نظره، فانتقل به الأفغاني من التصوف والتنسك إلى ((الفلسفة الصوفية))، وفي مجلسه كتب مقدمة ((الرسالة الواردات)) الفلسفية، التي أملاها الأفغاني سنة *1289* هـ (*1879* م)، وهذه المقدمة هي أول الأثار الفكرية التي حفظت لنا من تراثه، والتي لم تنشر إلا بعد وفاته. وفي سنة *1294* هـ(*1877* م) نال من الأزهر امتحان العالمية من الدرجة الثاني.

بعد ذلك عين محمد عبده مدرسا في دار العلوم، وألّف كتابا في علم الاجتماع والعمران (وهو مفقود) وأخذ يكتب في جريدة ((الأهرام)) منذ صدورها عام *1876* م، كما تولى التحرير في صحيفة ((الوقائع المصري))، فضم إلى هيئة التحرير سعد زغلول والشيخ سليمان وابراهيم الهلباوي.

في سنة *1882* م شارك في ثورة عرابي، فسجن ثلاثة أشهر، ونفي ثلاث سنوات قضى منها عاما في بيروت وانتقل إلى باريس بناء على دعوة أستاذه جمال الدين الأفغان، وفي باريس أصدرا مجلة ((العروة الوثقى)). ثم عاد إلى بيروت ثانية وأخذ يدرس في جوامعها، ويكتب في مجلة ((ثمرات الفنون)) البيروتية. وعاد

إلى مصر بعد ست سنوات من المنفى عام *1888* م، وكانت بدعوة من صديقه رياض باشا الذي تولى الوزارة في عهد الخديوي توفيق، غير أن الوضع في مصر قد تغيّر، وأصبح الإنكليز هم المسيطرون على الحكم والإدارة. ولذلك انصرف محمد عبده إلى التجديد الديني وإصلاح المؤسسات الدينية كالأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية. ولما توفي الخديوي توفيق عام *1892* م، وخلفه الخديوي عباس تقرّب منه محمد عبده بواسطة محمد ماهر باشا، فعينه الخدويوي في مجلس إدارة الأزهر وأوكل إليه تقديم تقرير عن الإصلاح المرجو في الأزهر. وفي عام *1899* م تولى الافتاء في مصر، وتوثقت صلاته باللورد كرومر، المندوب السامي البريطاني، واختير عضوا في مجلس شورى القوانين، ومجلس الأوقاف والجمعية الخيرية الإسلامية. وتوفي عام *1905*.

2.1. أفكاره الإصلاحية والتعليمية:

كانت بداية تفكير الشيخ محمد عبده هو ذلك الانحلال الداخلي والحاجة إلى التجديد في الإسلام، ولم يكن يبحث عن الخلاص الفردي بل كان يسعي إلى إقامة المجتمع الصالح، فقد كانت تبدو له صورتان متباينتان للمجتمع الإسلامي: صورة قديمة جميلة تعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، وصورة ثانية مهزوزة للمجتمع المعاصر، وكان عليه أن يوافق بين المجتمع الإسلامي الأفضل الذي كان يطمح إليه والمجتمع الذي كان يعيش فيه. وأدرك من جهة أخرى أن تطورات عديدة قد طرأت على المجتمع الإسلامي الحديث بما أدخل من قوانين وأنظمة وضعية، سواء كان ذلك في مصر أو في الدولة العثمانية، وأصبح في مصر نفسها نوعان من التعليم ونوعان من المعاهد: المعاهد الدينية التابعة للأزهر والتي تدّرس العلوم الدينية، والمعاهد الحكومية، على النمط الغربي، حيث تدّرس العلوم العصرية. ونتيجة لذلك ظهرت في مصر طبقتان من المثقفين هما: طبقة المثقفين ثقافة اسلامية تقليدية، التي ترفض كل تجديد، وطبقة المثقفين ثقافة غربية، ومعظمها من الجيل الجديد، لا ترفض التطور والتغيير بل ترحب بكل جديد في ميداني الفكر والعمل.

أما المجتمع المثالي الذي كان يريده محمد عبده هو مجتمع يسوده العقل لا القانون، ذلك أن المسلم الحق، في رأيه هو الذي يعتمد على العقل في شؤون الدنيا والدين، وما الكافر إلا ذلك يغمض عينيه فلا يرى نور الحقيقة، ولا يقبل اعتماد البراهين العقلية، والإسلام بخلاف ما زعم أعداؤه، فلم يكن يدعو إلى اهمال العقل، بل كان يحث على العلوم العقلية وغيرها من العلوم، فالمجتمع المثالي أو الصالح في اعتقاده هو الذي يقبل أوامر الله ويمتثل لها ويفسرها تفسيرا عقليا، وفقا للصالح العام. انه مجتمع الفضيلة والسعادة والرخاء.

من هذا التّصور الشامل نشأت دعوة محمد عبده في التجديد الديني معتمدا على الأسس التالية:

1 . تطهير الإسلام من البدع والضلالات والعودة به إلى نقائه الأول، في هذا الشأن يقول "محمد عبده": ((ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظمين: الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلّل من غلطه وضبطه، تتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني)).

لقد سار "محمد عبده" على خطة الدعوات الإصلاحية السلفية فأخذ بآراء ابن تيمية وتلميذه "ابن القيم" و"محمد بن عبد الوهاب" في العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى، ولذلك اعتبر الاستعانة بالقبور والأولياء والصالحين ضربًا من الشرك، وأرجع تعظيم الأولياء وتقديسهم عند المسلمين إلى الأقوام التي غزت البلاد الإسلامية من ترك وديلم وغيرهم. حيث يقول في هذا: ((أنظروا إلي ما كانوا عليه من فخفخة الوثنية، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية، فاستعانوا من ذلك للإسلام ما هو براء منه، لكنهم نجحوا في إقناع العامة بأن ذلك تعظيم شعائره، وتفخيم أوامره، والغوغاء عون الغاشم وهو يد الظالم، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات وتلك الاجتماعات، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة، وأركس الناس في الضلالة وقرروا المتأخر ليس له أن يقول المتقدم، وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول)). وهامج التقليد والمقلدون بقوله أنه حسب ما أرشدنا إليه القرآن: ((فقد أمر بالنظر واستعمال العقل فيما أيدينا من ظواهر الكون، وما يمكن النفوذ إليه من دقائقه، تحصيلا لليقين بما هدانا إليه، ونهانا عن التقليد بما حكى عن أحوال الأمم في الأخذ بما عليه آباؤهم، وتبشيع ما كانوا عليه من ذلك واستتباعه لهدم معتقداتهم وامحاء وجودهم الملي، وحق ما قال، فإن التقليد كما يكون في الحق يأتي بالباطل، وكما يكون في النافع يحصل في الضار فهو مضلة يعلو فيها الحيوان ولا تجمل بحال الإنسان)).

2 . إعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث، أو التوفيق بين الدين والعلم: فهو يقول في الشأن: ((لا يجوز أن يقام الدين حاجزًا بين الأرواح وبين ما ميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الإمكان، بل يجب أن يكون الدين باعثًا لها على طلب العرفان، مطالبًا لها باحترام البرهان، فارضًا عليها أن تبذل ما تستطيع من الجهد في معرفة ما بين يديها من العوالم، ولكن مع التزام القصد والوقوف على سلامة الاعتقاد عند الحد، ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين وجنى عليه جناية لا يغفرها له رب الدين)).

فقد عمد إلى استعمال العلوم الحديثة في تفسيره للآيات القرآنية وقال في هذا الإطار: ((على أننا نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الطب أو إضافة شيء إليه مما دليل في العلم لأجل تصحيح بعض الروايات الاحادية، فنحمد الله تعالى أن القرآن أرفع من أن يعارض العلم)). كما دعا إلى التوازن بين العلم والإيمان فقال: ((إلا أنه من واجب العقل أن يتواضع أمام الله وأن يتوقف عند حدود الإيمان، أما ضمن هذه الحدود فليس هناك أي حاجز يعترضه ويعرقل نشاطه، أو أي يحد نظرياته التي يمكن أن تصدر وفقًا لهذه الأفكار)).

3 . الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية، وضد حملات المبشرين المسيحين خاصة: ففي هذا الشأن يقول: ((الشريعة الإسلامية عامة باقية إلى آخر الزمان، ومن لوازم ذلك أنها تنطبق على مصالح الخلق في كل زمان ومكان، مهما تغيرت أساليب العمران، والشريعة هذا شأنها لا تنحصر جزائيات أحكامها، لأنها تتعلق بأحوال البشر ما وجدوا، ولا يحيط بذلك علمًا إلا عالم الغيب والشهادة، وهو الذي جعل أساسها حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال. إذ مصالح البشر في كل آن مبنية على حفظ هذه الأشياء التي منها السعادة في المعاش والمعاد)).

4 . اصلاح التعليم العالي الإسلامي: بدأت فكرة اصلاح التعليم الديني في ذهن "محمد عبده" بداية مبكرة، فقد نشر عام *1876* م مقالة في جريدة الأهرام أكّد فيها أنه لا يكفي دراسة المؤلفات العربية والتقليدية في الشرع الإسلامي، التي تدافع عن العقيدة، بل يجب تلقى العلوم الحديثة وتاريخ الديانات في أوروبا لتفهّم أسباب التقدّم الغربي، كما تكوّنت لديه فكرة واضحة عن ضرورة اصلاح التعليم الديني في مصر وهو الذي عانى من سوء التعليم في الجامع الأحمدي بطنطا وعاش تجربة مرّة دامت اثنا عشرة سنة في الجامع الأزهر، الذي يقول عنه: ((إن اصلاح الأزهر أعظم خدمة للإسلام فإن صلاحه اصلاح للمسلمين وفساده فساد لهم)).

وقد اتيح له أن يحقق بعض أفكاره الإصلاحية في التعليم في الأزهر في عهد الخديوي "توفيق" الذي كان وراء الإصلاح، ولم يوافق الشيخ في الإصلاح المطلوب، بسبب مقاومة شيوخ الأزهر لإدخال العلوم الحديثة، ولما تولى الخديوي "عباس" الحكم عهد إلى الشيخ بإعداد تقرير عن التعليم في الأزهر وطرق اصلاحه، وعلى اثر ذلك تألف (مجلس إدارة الجامع الأزهر) لتنظيم قواعد التدريس والأروقة والمرتبات ودرجات العلماء، وتألف المجلس من ستة أعضاء كان الشيخ "محمد عبده" أحدهم عام *1895* م، وكان الروح المحركة للمجلس، وأقد أثمرت جهوده في الإصلاحات التالية:

. تنظيم مرتبات الأساتذة في الأزهر وزيارتها.

. منح كساوي التشريف التي يلبسها العلماء لم يستحقها.

. تنظيم الجارايات التي تصرف للمجاورين في الأزهر.

. اصلاح مساكن المجاورين في اثاثها وايصال الماء إليها.

. اصلاح إدارة الأزهر بإيجاد مكاتب ادارية لمساعدة شيخ الأزهر.

. تأليف لجنة من ثلاثين عالمًا لدراسة المناهج المقررة في الأزهر(أدخلت مواد الحساب والجبر وتاريخ الإسلام والإنشاء وآداب اللغة العربية ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان إلى المناهج).

. اصلاح المكتبة لتسهيل استعمالها.

. اصلاح طريقة التدريس، وقد بدأ الشيخ بنفسه.

غير أن استجابة الأزهر لضرورة التجديد كانت بطيئة جدًا، كما كان يلاحظ الشيخ "محمد عبده" نفسه عنما أسر بذلك للشيخ "محمد رشيد رضا" قائلا: ((إن هذا الإصلاح لا يتم إلا في زمن طويل، وإنه إذا رأى حال الأزهر قد صلحت قبل موته فإنه يموت قرير العين)). هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن الأزهر كون مؤسسة علمية ذات تقاليد تعود إلى ثمانية قرون تعتبر نفسها، أمام العالم الإسلامي حارسة الدين والناطقة بالمذهب السّني في الإسلام، فهي لن تفتح أبوابها بسهولة لرياح التجديد والتغيير الآتية إليها من الغرب.

من جهة مقابلة؛ أن الشيخ "محمد عبده" اهتم بالتعليم الديني العالي وأهمل التعليم الابتدائي والثانوي في المدارس الدينية التابعة للأزهر، وتناسى مكافحة الأمية بل اعتقد أن إصلاح التعليم العالي سيؤدي إصلاح بقية مراحل التعليم الديني. ولاسيما أن التعليم الابتدائي والثانوي العصري في مصر وغيرها من الأقطار العربية، قد بدأ منفصلاً عن الأزهر والمدارس وسار في اتجاه آخر.

مهما قيل في دعوة الشيخين "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" في الإصلاح الديني فقد تأثر بهما عدد من المفكرين والعرب والمسلمين من الأجيال اللاحقة، فكان من أشهر تلاميذهما والمتأثرين بهما في مصر "محمد فريد وجدي" و"قاسم أمين" و"أحمد لطفي" والسيد "عبد العزيز جاويش"، وفي بلاد الشام الشيخ "الطاهر الجزائري"، والشيخ "حسين الجسر" و"عبد القادر المغربي" و"محمد كرد علي" و"جمال الدين قاسمي" و"عبد القادر البيطار" و"عبد الحميد الزهراوي" و"محمد زاهد الكوثري" و"عبد القادر الترنانيني" و"محمد رشيد رضا" والأمير "شكيب أرسلان". وسار على نهجهما في شمال افريقيا "محمد بيرم" التونسي أحد أتباع المصلح السياسي والاجتماعي المشهور "خير الدين" التونسي ومؤلف عدة كتب في إصلاح القضاء، والشيخ "محمد النخلي" والشيخ "الطاهر بن عاشور" والشيخ "سالم بوحاجب" المدرسين في جامع الزيتونة والشيخ "محمد بن الخوجة.

2. محمد رشيد رضا (*1865 . 1935*)

1.2. حياته:

هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل الحسيني النّسب. يعود أصل الأسرة إلى الحجاز ثم انتقلت إلى العراق فنزلت النجف ثم نزحت إلى الشام وسكنت (القلمون) من أعمال طرابلس الشام. وعن هذا ترجم هو لنفسه قائلا: ((ولدت ونشأت في قرية تسمى القلمون على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان، تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال، وكان جميع أهل القرية من السّادة الأشراف المتواتري النسب)).

ولد في *27* جمادي الأولى *1282* هـ الموافق *23* سبتمبر *1865* م، وفي مسقط رأسه قرية (القلمون) نشأ الشيخ "رشيد"، وهي قرية اشتهر أهلها بالشرف وحسن السيرة، وبقلة ظهور المنكر بينهم. وكانت أسرته ذات شرف ومكانة وكرامة، ودين وتقوى وعزة ونفس بين أهل هذه القرية، وكان لها أثر كبير فيها، فقد كان والد الشيخ "رشيد" شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها، إلي أن توفي *1323* هـ (*1905* م)، والدته اسمها (فاطمة) وتنتسب إلى البيت النبوي من جهة الأب والأم، وكان الشيخ "رشيد" يكثر من الثناء عليها، وقد توفيت بمضر سنة *1350* هـ (*1931* م).

كانت بداية تلقيه العلم في قريته (القلمون)، حيث دخل كُتابها وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وقواعد الحساب، وحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم. ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة (الراشدية) في طرابلس الشام، وهي مدرسة ابتدائية تابعة للدولة العثمانية، وكان التعليم فيها بالتركية، حيث يُدرس فيها مبادئ العلوم الشرعية واللغوية ومبادئ الجغرافيا، لكن لم يستمر بها إلا سنةً واحدة ثم غادرها والتحق في السنة الموالية *1300* هـ (*1883* م) إلى (المدرسة الوطنية الإسلامية) في طرابلس الشام أيضا التي أسّسها الشيخ "حسين الجسر" وكان من المشهورين بالعلم والفضل، الموصوفين بالزهر وأصالة الرأي، وكان مستوى التعليم أرقى في هذه المدرسة أرقى من المدرسة الأولى، إضافة إلى أن التعليم في الفانية كان يتم باللغة العربية، وكذلك يتم تعلم فيها اللغتين التركية والفرنسية، وفيها توسع "رشيد" بدراسة العلوم العربية والشرعية كما درس فيها المنطق والرياضيات والفلسفة. ولكن المدرسة لم تستمر طويلا ذلك أن الحكومة العثمانية لم تقبل أن تعدها

من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية، فكان ذلك سبب انصراف الطلاب عنه وإلغائها، فانتقل "رشيد" إلى (المدرسة الدينية) بطرابلس حتى حصل فيها على الإجازة العلمية وهي الشهادة التي كانت تعادل الشهادة العلمية. وهناك واصل تعلمه على يد السيخ "حسين الجسر" في (المدرسة الرحبية) بطرابلس وفي دار الشيخ نفسه الذي أخذ عنه العلوم العربية والشرعية والعقلية إلى أن كتب إجازة بالتدريس سنة *1310* هـ (*1897* م).

تشبع "رشيد رضا" بروحه في ضرورة الجمع بين علوم الدين وعلوم الكون المادية والاجتماعية والعمرانية مع التربية الإسلامية لنهضة الأمة، وأخذ الحديث وفقه الشافعية عن شيخ الشيوخ العلامة "محمود نشافة" وحضر قليلاً من كتاب (نيل الأوطار للشوكاني) على العلامة الشيخ "عبد الغني الرافعي" واستفاد كثيرًا من معاشرته في العلم والأدب والتصوف، وتلقى بعض كتب الحديث على العالم المحدث الشيخ "محمد القوقجي". وشغُفَ بكتاب (الإحياء) لحجة الاسلام "الغزالي" فطالعه كله وأعاد مطالعته فكان له الأثر الصالح في زهده وأخلاقه وإخلاصه في العلم وتقواه في العمل، وكان طريقه منه في فهم الدين أنه دين روحي أخروي فقط وأن ارشاد المسلمين محصور في (تصحيح عقائدهم ونهيهم عن المحرمات، وحثهم على الطاعات وتزهيدهم في الدنيا).

وأثناء مدة طلبه للعلم وهو ويقلب أوراقًا علمية لأبيه وجد عددين من جريدة (العروة الوثقي) التي كان يصدرها الشيخان "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" فقرأهما بشوق ولذة بعثاه على البحث عن بقية أعدادها فلما قرأ ما وجد منها المرة بعد المرة أحدثت فيه أثرا جديدًا ونقلته من طور إلى طور وصار طريقه في فهم الإسلام أنه (دين روحاني وجسماني وأخروي دنيوي من مقاصده هداية الإنسان من السيادة في الأرض بالحق ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل) وأن ارشاد المسلمين يجب أن يكون . مع تصحيح عقائدهم ونهيهم عن المحرمات وحثهم على الطاعات . إلى المدنية والمحافظة على ملكهم ومبادرة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة.

وقد كان قبل ذلك قد حبب إليه كتاب الإحياء مجاهدة نفسه على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام، والاكتفاء بقليله والنوم على الأرض وغير ذلك، وأخذ أوراد الشاذلية عن شيخه "أبي المحاسن القاوقجي" أعبد عباد شيوخ الطريقة في وقته، ورغب منه أن يسلكه الطريقة على الأصول العلمية، إذ لم يعجبه أن يسلك الطريق على وجه صوري من تلاوة الأوراد وحضور الاجتماعات فقال له الشيخ: يا بني انني لست أهلاً لما تطلب فهذا بساط قد طوى وانقرض أهله. بعده تلقى الطريقة النقشبندية وقطع مراتبها كلها فكان تنسكه . أولاً . تصوفا طرقيا شاذليا فنقشبنديا بما فيه من حق وباطل وهدى وضلال. لكن حاله عن اتباع الصوفية قد تغيير بسبب شغفه بكتاب الإحياء الذي دعه إلى اقتناء كتاب (شرح الجليل للإمام المرتضى الحسيني) فلما طالعه ورأى طريقته الأثرية في تخريج أحاديث كتاب الإحياء فتح له باب الاشتغال بعلوم الحديث وكتب السنة وتخلص مما في كتاب الإحياء من الخطأ الضار . وهو قليل . لاسيما عقيدة الجبر والتأويلات الاشعرية والصوفية والغلو في الزهد وبعض العبادات المبتدعة، وترك أوراد الشاذلية لما علم أن قراءتها (من البدع التي جعلت من قبيل الشعائر والشرائع التي شرعها الله تعالى على ما فيه . أي ورد السحر

وأمثاله . من الأمور والأقسام المنتقدة شرعًا، وأستبدل بها قراءة القرآن ووردًا آخر في الصلاة على النبي . صلى الله عليه وسلم . ، كما ترك أوراد النقشبندية وذكرها (غير المشروع المخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور) وبين ما في رابطتها من شرك أو بدعة. وذهب إلى التّصوف الحقيقي في الإسلام من تجريد التوحيد وتزكية النفس وتقويم الاعمال وتصحيح النية ومحاسبة النفس ومراقبة الله في جميع الأعمال والزهد في الدنيا والعمل للآخرة والمبالغة في العبادات المشروعة والاعتصام بالورع موزونا ذلك كله ومضبوطًا بالكتاب والسنة وما كان عليه أهل القرون الثلاثة الصحابة والتابعون وأتباع التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

وعندما انتهى من طلب العلم تطلعت نفسه إلى العمل الحر، وكان صوت "جمال الدين الأفغاني" والشيخ "محمد عبده" في الدعوة إلى الإصلاح قد ملأ العالم الإسلامي، وقد هيأته للاستجابة له تربية الشيخ "حسين الجسر"، فكان يتتبع وهو طالب أخبارهما كما أسلفنا من قبل ويقرأ مجلة (العروة الوثقى) وغيرها من آثارهما، والتقى بالشيخ "محمد عبده" مرتين في طرابلس في زيارتين قصيرتين، فازداد إعجابه به ورغبة في الاتصال به، فعزم سنة *1314* هـ (*1897* م)، وهي السنة التي توفي فيها "جمال الدين الأفغاني"، فأراد الهجرة إلى مصر للاتصال بوارث علمه وحكمته، وكان قد نال شهادة التدريس . العالية . من شيوخه بطرابلس، وكان والده يعارض في ذلك، فلم يزل به حتى أرضاه، فسافر إلى مصر بطريق البحر من بيروت، ووصل إلى الإسكندرية في *7* رجب *1315* هـ الموافق *3* جانفي *1897* م.

وفي مصر اتصل بالشيخ "محمد عبده" وأخبره بأن غرضه من الهجرة إلى مصر هو تلقى الحكمة عنه، وأنه يعتقد أنه بقية رجاء المسلمين في السعي للإصلاح والاضطلاع به، فقرَّبه الشيخ "محمد عبده" من مجلسه، وكان يجتمع به كثيرًا في داره، فيدور بينهما ما يدور من الكلام في المسائل الإصلاحية التي هاجر إلى مصر لأجل الاشتغال بها، والوقوف إلى منتهى علمه ورأيه فيها، وكان رأيه يوافق رأيه في أغلب هذه المسائل، ولم يكونا يختلفان إلا في مسائل قليلة، فيدور البحث بينهما فيها حتى ينتهي أمرهما إلا الاتفاق، لأنهما كانا متحدين في طلب الإصلاح.

ومن مصر قام "رشيد رضا" بعدة رحلات إلى أقطار العالم الإسلامي وغيره كانت لها تأثير كبير في حياة "رشيد رضا" وانتفع بها انتفاعا كبيرا حيث اتسع أفقه وكسب الكثير من التجارب والمشاهدات ومعرفة الرجال والأعلام في دنيا العروبة والإسلام، وتمثلت رحلاته هذه في: رحلته إلى سوريا عام *1908* م عقب خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإعلان الدستور العثماني، ثم قام عام *1909* م برحلة إلى الآستانة بهدف سعيه إنشاء معهد ديني علمي للتربية الإسلامية الصحيحة وتخرج الدعاة وأيضا إزالة سوء التفاهم بين عنصري الدولة الأكبرين العرب والترك.

ثم قام عام *1912* م برحلة إلى الهند، وفي عام *1916* م إلى الحجاز بعد ثورة شريف مكة "الحسين بن علي"، ثم عاد من جديد وقام عام *1919* م، برحلة إلى سوريا، وفي عام *1921* م قام برحلة إلى أوروبا لحضور مؤتمر جنيف بسويسرا للاحتجاج على احتلال فرنسا لسوريا وإنجلترا لفلسطين، ثم عاد مرة ثانية وزار الحجاز عام *1925* م للمشاركة في المؤتمر مكة المكرمة الذي دعا إلى "عبد العزيز آل سعود" بعد استيلاءه على الحجاز، وعام *1931* م قام برحلة إلى فلسطين بدعوة من "الحاج أمين الحسيني" مفتي فلسطين لحضور

المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس لبحث قضية فلسطين وقضايا إسلامية أخرى ولبحث أيضا إنشاء جامعة إسلامية في القدس. فكانت كل هذه الرحلات كما يبدو الغرض منها هو الدعوة إلى تضامن المسلمين واتحادهم ووسائل النهوض بهم ومعالجة الأسباب التي أدت إلى تشتتهم وإضعافهم.

2.2. جهوده وأفكاره الإصلاحية:

1.2.2. الإصلاح الديني:

كان لقراءات الشيخ "رشيد رضا" العلمية، ومطالعاته السياسية على سلوكه العام ونظرته للدعوة والإصلاح، فبعد أن كانت رؤيته للإصلاح محصورة في وعظ الناس وإرشادهم؛ أصبح لديه استعداد قوي لمعارضة كل ما يراه معارضًا للدين ومخالفًا للشريعة، غير عابئ بالمكانة الدينية أو السياسية للشخص الذي يعارضه، وترجمة لجرأته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما قام به في بلدته (طرابلس) عندما أنكر على أحد ولاة بيروت إساءته صلاته في مصلى الحكومة بطرابلس، فقبل الوالي كلامه شاكرًا وسط انكار الجمهور ذلك؛ إذ عدوه تهورًا منه وسوء تصرف.

وفي حادث ثانٍ أنكر على رئيس المحكمة العدلية والمدعى العام بطرابلس لبسهما ساعات ذهبية، وفي حادث ثالثٍ أنه خطب وهو شاب بين يدي متصرف طرابلس خطبة تعرض فيها لحال الدولة وحال الشعب، وما فيهما من خلل وضعف، مرجعاً سبب ذلك إلى جهل العلماء بالسياسة، وجهل الحكام بالدين، مدللاً كل بالأمثلة والشواهد.

أما من جهة عوام الناس فقد كان حريصًا على تعليمهم أمور دينهم في مسجدهم، وفي منتدياتهم العامة، كما كان للنساء نصيب من دروسه في العقائد والعبادات بعبارة سهلة أقرب إلى العامية، كما كان حريصًا على محاربة البدع بكل أشكالها في بلدته القلمون، مجاهرًا بذلك رغم سطوة مشايخ الطرق الصوفية ونفوذهم في ذلك الوقت، من ذلك أنه أمر أحد مريديه بقطع شجرة زيتون كانت النساء تتبرك بها في قريته، وإنكاره أيضا على بعض الطرق الصوفية احتفالاتهم البدعية، وما يسودها من مخالفات شرعية.

وخلاصة القول؛ أن "رشيد رضا" بدأ بتطبيق النهج الإصلاحي انطلاقا من محيط قريته، وما كانت دعوته لتستثني أحدًا، رئيسًا كان أو مرؤوسًا، عينًا كان أو من عامة الناس.

2.2.2.مجلة المنار:

مما ذكرناه من قبل أن بين دوافع هجرته إلى مصر هو إنشائه لمجلة تكون وسيلة للدعوة إلى الإصلاح، وهو الأمر الذي قلنا أنه استشار فيه الامام "محمد عبده"، وفعلا حقق ما عز عليه بعد عام قدومه للمصر إذ أنشأ مجلة سماها (المنار) صدر عددها الأول في *22* شوال *1315*هـ الموافق *17* مارس *1898*م وفي سنتها الثانية وضع لها الحديث الشريف: ((إن للإسلام صُوّى كمنار الطريق))، وقال أن الهدف من انشائها أن ترشد المسلمين((إلى النظر في سوء حالهم وتنذرهم إلى الخط المهدد لهم في استقبالهم وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين))، وكانت طريقته للوصول إلى هذه الغاية هي الجمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين، وهي الطريقة الإصلاحية التي دعانا إليها حكيمًا الإسلام "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده"، وهي

التي يدعو إليها ويناضل عنها)). فقامت (المنار) مقامة مجلة (العروة الوثقى)، وامتازت عليها بأنها مكثت زمنا طويلا، فارتفع بها صوت الإصلاح هذا الزمن الطويل، وهو يمتد إلى وفاة الشيخ "محمد رشيد رضا" سنة *1354* هـ (*1935* م).

كانت مجلة (المنار) هي المؤلف الأساسي للشيخ "رشيد رضا" إذ أنه لم يكتب إلا كتابًا واحدًا أثناء طلبه للعلم وهو (الحكمة الشرعية) أما باقي كتبه التي ألفها، فقد كانت أول أمرها جزءًا من مجلته أفردها في كتاب مستقل لسبب أو لأخر، ولا يخرج من هذه القاعدة شيء من مؤلفاته، بما فيها تفسير المنار الذي كان جزءًا أساسيًا من مجلة (المنار) ثم طبع مفردًا فيما بعد، وهذه المؤلفات التي طبعت ونشرت مستقلة وكانت في مجملها تعبر عن مواضيع المنار الإصلاحية هي: (تاريخ الإمام)، ثلاث أجزاء، (ترجمة القرآن)، (تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن)، (خلاصة السيرة المحمدية)، (الخلافة)، (ذكرى المولد النبوي)، (السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة)، (شبهات النصارى وحجج المسلمين)، (عقيدة الصلب والفداء)، (الربا والمعاملات في الإسلام)، (مناسك الحج أحكامه وحِكَمه)، (يسر الإسلام وأصول التشريع العام)، (الوهابيون والحجاز)، (نداء للجنس اللطيف)، (المسلمون والقبط)، (الوحي المحمدي)، (المحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية)، (رسالة في حجة الإسلام الغزالي)، (رسالة التوحيد)، (المقصورة الرشدية)، (تفسير القرن الحكيم)، (الوحدة الإسلامية).

3.2.2. رأيه في التجديد الإسلامي:

لقد سار الشيخ "رشيد رضا" على نهج "جمال الدين الأفغاني" وأستاذه "محمد عبده" في اتجاه التجديد الإسلامي وذلك بالدعوة إلى الأصول الإسلامية الأولى المبرأة من البدع والخرافات، إذ لا نهضة يمكن أن تحقق بمعزل عن الدين، يقول "رشيد رضا" موضحًا أن الدين هو أساس الرقي والمدنية : ((علمنا التاريخ أنه لم تقم مدنية في الأرض من المدنيات التي وعاها وعرفها إلا على أساس الدين حتى مدنيات الأمم الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين، واليونانيين، وعلمنا القرآن أنه ما من أمة إلا وقد خلا فيها نذير من الله عز وجل لهدايتها، فنحن نرى أن هذه تلك الديانات كان لها أصل إلهي، ثم سرت الوثنية إلى أهلها حتى غلبت على أصلها ... وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظًا تامة إلا الديانة الإسلامية... فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية، لأن الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء الديني)).

فهذه الدعوة الإسلامية التي تتحقق النهضة الإسلامية في إطارها في مواجهة الدعوة إلى التغريب، ترتبط لدى "رشيد رضا" كما ارتبطت لدى . استاذه من قبل . بالدعوة إلى رفض التقليد والجمود الفكري، الذي عزل النص الديني والتعاليم الإسلامية عن واقع المسلمين، ومشكلاتهم الحاضرة، كما أدى إلى تعطيل عمل العقل في النص الديني واستنباطه الأحكام الفقهية منه، تلك الأحكام التي تدعو إليها ضرورة الواقع وبرفض التقليد ومبرراته والدعوة إلى الاجتهاد، واعمال العقل، واحترام العلم يتحقق التوافق بين النص الديني الثابت والواقع التاريخي المتغير.

وهو إن يدعو إلى العودة إلى الينابيع الإسلامية الأول، التي سببت الانطلاقة الأولى في الإسلام ورفض كل سلطة سوى الكتاب والسنة، فإنه يتجه إلى ضرورة تنقية الواقع الإسلامي من البدع التي علقت به،

وعطلت تقدمه، فهو يرفض سلطة أولياء الصوفية وكرامتهم التي تتناقض مع العقل والعلم، موضحًا أضرار الاعتقاد في سلطة كرامات الصوفية، تلك الكرامات التي أثرت تأثيرا سلبيا في الواقع الإسلامي، وجعلت كثيرا من أهل الإسلام يعيشون على هامش الواقع لا داخله، ودخلت الكرامات لدى بعض المسلمين المتأخرين على اعتبار أنها جزء من العقيدة الإسلامية. إن الاعتقاد في الكرامات وإضفاء لون السلطة والقداسة على أدعياء التصوف، وما يقومون بنشره من خرافات وخزعبلات بين العامة، يؤدي في منهج "رشيد رضا" ودعوته إلى تطهير الإسلام من البدع والخرافات وسلطان هؤلاء الأولياء.

ولكي يتحقق الانسجام بين التعاليم الإسلامية النقية وبين الواقع الإسلامي المعيش، الذي انحط بسبب البعد عن الأصول الأولى، لكن هذه العودة مع ضروريتها وجوهريتها ترتبط بأمر أخر عند "رشيد رضا" وهو الدعوة إلى الأخذ بالعلوم الغربية التي أسهمت إسهاما فعالا في تطور الحضارة الغربية، ولكن أَخْذًا رشيدًا على يد عارفين بشريعتنا وطبيعة ثقافتنا الإسلامية.

4.2.2. الوحدة الإسلامية:

كان "رشيد رضا" قبل الانقلاب على السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني" يدعو إلى توحيد العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية واللغة، بواسطة تأليف جمعية إسلامية تحقق الاصلاح المنشود والوحدة الكبرى المتمثلة في الجامعة الإسلامية التي دعا إليها الإمام "جمال الدين الأفغاني" وسعى لتحقيقها عن طريق تنبيه حكام الحكومات المسلمة المستقلة إلى الاتحاد. وأهم أركان هذا الإصلاح في رأي "رشيد رضا" هو جمع المسلمين تحت حماية الخليفة يكون لها شُعَبٌ في كل قطر اسلامي، وتكون عظمى شُعبها في مكة المكرمة التي يؤمّها المسلمون في جميع أقطار الأرض، ويتآخون في مواقفها ومعاهدها المقدسة، ويكون أهمّ اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف. وحدد لهذه الجمعية أصول وظائفها وأعمالها ونتائجها بما يلي: أما الأصول فهي توحيد العقائد والتعاليم الأدبية والتهذيبية والأحكام القضائية والمدنية واللغة، وأما الأعمال فأهمها ترك البدع والتعاليم الفاسدة وإصلاح الخطابة والدعوة إلى الدين، وأما نتائجها فاهمها اتحاد الحكومات الإسلامية.

5.2.2. الإصلاح التعليمي:

- المدارس:

دعا الشيخ "رشيد رضا" إلى الإصلاح في مجال التربية والتعليم، فحذر الراغبين في اصلاحه من تقليد المدارس الحكومية السائدة آنذاك، التي كانت تهدف إلى اعداد تلاميذها للوظائف، وكان يرى أنه من يرمي بتعليمه إلى هذا الغرض فهو خاسر. كما بين الفنون التي يجب إدخالها في ميدان التربية والتعليم لمسايرة ركب العلم والعرفان، وأصبح المرجع في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، وكانت هذه الفنون التي أدخلها والعلوم التي أوصى بها هي: علم أصول الدين، وتهذيب الأخلاق، وفقه الحلال والحرام، والعبادات، والاجتماع، وتقويم البلدان والتاريخ، والاقتصاد، وتدبير المنزل، والصحة، وعلم لغة البلاد، والخط.

وقد وصل بالشيخ من تشجيعه على العلم والتعليم أن أفتى بأنه إذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعائر، فبناء المدارس والوقوف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة، لأنه من أغراض الشريعة جعل المسجد على قدر الحاجة لما كثرتها من تفريق المسلمين. بل يكتف عند الدعوي النظري في محاولة الإصلاح التعليمي والحث على التعليم والتعلم، بل قام بإنشاء مدرسة في مصر "سماها باسم مدرسة (دار العلم والإرشاد) والتي أنشئت تحت رعاية جمعية عرفت باسم (جماعة الدعوة والإرشاد)، والتي انتخب لرئاسة الجمعية السيد "محمود بك سالم" وكان الشيخ "رشيد رضا" وكيلا لها، وناظرًا للمدرسة، التي افتتحت الدراسة بها عام *1330* هـ (*1912* م) وكانت تمنح الطالب شهادة مرشد بعد ثلاث سنوات من الدراسة تؤهله للدعوة والإرشاد بين المسلمين، أم إذا واصل ثلاث سنوات أخرى فيصبح داعيًا من الدعاة لغير المسلمين للدخول في الإسلام، وكان لهذه المدرسة للدخول في الإسلام، وكان لهذه المدرسة أثر كبير في إعداد الدعاة، أما من المدرسين فيها، فإلى جانب الشيخ "رشيد رضا" كان هناك: الشيخ "محب الخطيب" والشيخ "أحمد العبد" بن الشيخ "سليمان العبد" من علماء الأزهر وغيرهم.

- إصلاح الأزهر:

كانت جهود الشيخ "رشيد رضا" الداعية لإصلاح نظام التعليم في الأزهر متممتًا لما بدأه أستاذه الشيخ "محمد عبده"، فلم يغير من خطته وخطة المنار في السعي نحو إصلاح بل استمر بنفس الحماس الذي كان عليه. فكتب المقال تلو المقال في شؤون إصلاح الأزهر كلها بدعوة علمائه إلى استقلال الفكر والبعد عن التقليد وأنواع البدع والخرافات، والرجوع إلى هداية القرآن والسنة، وفي اصلاح نظام التربية والتعليم والدعوة إلى إدخال جميع العلوم العصرية النافعة وإيجاد التخصصات العميقة في مختلف العلوم، والدعوة إلى أن يكون للأزهر وعلمائه كما دعا إلى قيام الأزهر بواجباته الإسلامية المقدسة وذلك بدفاعه عن الإسلام ورده على شبهات أعدائه. وارسال المرشدين والوعّاظ إلى مجتمعات المسلمين لتعريفهم بأمور دينهم وكذلك قيام الأزهر بالدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب وبذلك يحتل مكانة في تاريخ الدعوة الإسلامية، ولم تكن دعوته سهلة لينة بل لقي "رشيد رضا" الكثير من الأذى ورماه خصمه بالحق والباطل فاضطر أن يشتد في الصمود أمامهم، وكانت دعوته لإصلاح الأزهر دعوة هادئة لينة في مجلدات المنار الأربع.

- **الإصلاح السياسي:**

اضافةً إلى جهوده في الإصلاح الديني والتعليمي، كان للشيخ "رشيد رضا" نشاط بارز، قلما وجد عند شيوخ الدين وأهل العلم، خاصة بعد وفاة أستاذه الشيخ "محمد عبده" الذي كان يكبح جماحه كلما هَمَّ بالانطلاق نحو معترك السياسة، إذ دخل معترك ميدان السياسة جهارًا، ولم يترك قضية من قضايا المسلمين المهمة إلا وتعرض لها، فكشف مخططات الإنجليز، وكتب عن الاستعمار الإيطالي والفرنسي، والحركة الصهيونية، ونبه إلى أهدافها ووسائلها، وخاض في شؤون الدولة العثمانية، فكتب عن السياسية الحميدية، وتكلم عن الكماليين والاتحاديين، الذين انقلبوا عن الخلافة العثمانية وخليفتها عبد الحميد الثاني. فكان يكتب الكثير من المقالات السياسة في مجلته المنار، والتي حاول من خلالها إيضاح المخاطر التي تحيط بالعالم الإسلامي والعربي، ويبين فيها الأحوال السياسية وفي العالم، والتي كانت تدل على حنكته السياسية، فكان

يكتب ويحلل الأوضاع السياسية، بحيث لو قرأها إنسان لا يعرفه لقال إنه رجلُ مختص بالسياسة وتحليلها. فكتب سلسلة مقالات عن ثورة فلسطين وبيان أسبابها ونتائجها وبيان حال اليهود والإنجليز والغرب، كما كانت له كذلك مشاركات واسعة على أرض الواقع من خلال المشاركة في الجمعيات والأحزاب السياسية، والتي من أبرزها:

1 . جمعية الشورى العثمانية: التي تأسست عام *1897* م في القاهرة، وكان "رشيد رضا" رئيس مجلس إدارتها، وكانت أهدافها، تدور حول نقد الحكم الفردي، وإبراز مزايا الحكم الشوري.

2 . حزب الاتحاد السوري: الذي تأسس عام *1918* م في مصر، وكان رئيسه الأمير "ميشيل لطف الله" اللبناني الأصل، وكان الشيخ "رشيد رضا" نائبًا للرئيس، وكان هدف الحزب الكفاح من أجل القضية السورية في الميدان السياسي المحلي والدولي، ضد الاستعمار الفرنسي.

3 . جمعية الشبان المسلمين: التي تأسست عام *1927* م في مصر، وكان الشيخ عضوًا نشيطًا فيها وهي الجمعية التي كانت نواة جماعة الإخوان المسلمين المعروفة التي أسسها الشيخ "حسن البنأ" الذي تعرف عليه من خلال هذه الجمعية، وحصلت بينهما مراسلات عدة تدور حول مسائل علمية والبحث في أحوال المسلمين.

لقد كانت غايته السياسية الكبرى كما يقول الشيخ "عبد الحميد بن باديس" ايجاد دولة إسلامية كبرى مرهوبة الجانب تكون مركزًا للأمم الإسلامية في العلم بصفة دينية اذا لم تكن بصفة سياسية، وعلى هذه الفكرة ولهذه الغاية ناصر الدستور العثماني وجمعية الاتحاد والترقي، فلما تبين له منهم النعرة الملية الضيقة ناوأهم وعمل على ايجاد مملكة عربية اسلامية مستقلة عن الدولة العثمانية التي كان يرى الاتحاديين سائرين بها إلى الانهيار، فانضم إلى الجمعية العربية العاملة في مصر وأوروبا لهذا الغرض. ولهذه الغاية كان مع "الشريف حسين" يوم أعلن الثورة العربية حتى إذا تبين غدر الحلفاء من معاهدة (سايس بيكو) ورأى "الشريف حسين" لا يرجع عن اغتراره بهم نفض يده منه وانقلب عليه وعلى البيت الهاشمي كله.

أما بخصوص "مصطفى كمال أتاتورك" الذي تمكن سنة *1923* م من الانتصار على اليونان وأعقب ذلك إلغاؤه الخلافة نهائيا، ونفى الخليفة من بلاد الأتراك وتحويل دولته التركية إلى دولة علمانية، فحزن لذلك كثير من المسلمين وعلى رأسهم "رشيد رضا" الذي وصف "كمال أتاتورك" والمروق من الدين الإسلامي، وأخذ يدعو بشدة إلى اعادة الخلافة الإسلامية. وكان يقول لصديقة "شكيب أرسلان": ((إنني ما زلت أرجح الترك على الإفرنج كافة وإن ظلمونا واحتقرونا ... بل أرجح ملاحدتهم الذين يناهضون لغتنا ودیننا، ويحتقرون سلفنا الصالح الذي نفاخر به جميع الأمم في صالحيها . أرجح أن يعود الترك سائدين حاكمين لبلادنا على بقاء الإفرنج فيها بأي اسم من الأسماء، أو صفة من الصفات ولكن لا أجد في قومي من يرافقوني على هذا، ويقبلون مني أنه أهون الشرين)). وأخذ يدعو إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وذلك باختيار أهل الحل والعقد في الأمة بسعي الحزب الوسط وهو حزب الإصلاح الإسلامي المعتدل الذي جعله "رشيد رضا" وسط بين الجامدين والمتفرنجين. وقد كتب كل هذا الموضوع مقالات كثيرة في مجلة المنار وجعلها كلها في كتاب أسماه (الخلافة أو الإمامة العظمى) دون فيه آراءه في موضوع الخلافة الإسلامية وقد لقي الكتاب رواجا كثيرا في الشرق والغرب. ومن جهة أخرى فقد عمل "رشيد رضا" على إعادة الخلافة الإسلامية فدعا إلى عقد مؤتمر

للخلافة في مصر عام *1924* م فكتب إلى جاوة والجزائر والهند وحضر موت وغيرها من البلدان الإسلامية . وتم انعقاد المؤتمر في السنة المذكورة، ولكن نتيجته لم تكن مشجعة.

وعندما أخذت لوامع الدولة السعودية تلوح كما يقول "ابن باديس" تلوح في الأفق فاجأت العالم بإزالة العرش الهاشمي المتداعي، وانتصابه مكانه بمكة المكرمة، وجد فيها "رشيد رضا" ضالته من دولة إسلامية تنفذ الشرع الإسلامي وتقف عند حدوده وتحي سنته وتقاوم كل ما ألصق به من بدع وضلالات وتنتمي إلى أحد المذاهب الأربعة الكبرى فشمر عن ساق الجد لمؤازرتها وتأييدها وارشادها ووجد من ملكها "عبد العزيز آل سعود" الرجل المسلم الذي يعمل للدين وينتصح لكل ناصح فيه فسار معه حتى وفاته.

خلاصة القول؛ فإن المسار الإصلاحي للشيخ "رشيد رضا" الذي تضمن أعماله وأفكاره وآراءه من أجل ارجاع أمجاد الأمة الإسلامية التي تكالب حولها الاستعمار الأوروبي آنذاك. عبر عن مدرسته الشيخ "محمد الغزالي" بوصفها أنها أذكى مدرسة في العصر الحديث، وقال عنها: ((أعني مدرسة ((المنار)) التي صالحت بين السلف والخلف، والنقل والعقل، والاجتهاد والتقليد، ورسمت أهدافًا واضحة النهوض بالعقل الإسلامي، والطبّ لأمة عليلة !!)).

المصادر والمراجع:

. أنور الجندي، **اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى)**، دار العلوم للطباعة، القاهرة، 1978.

- شكيب أرسلان، **السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة**، مطبعة ابن زيدون دمشق، *1937*.

. علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة *1897 . 1914***، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت، *1987*.

- محمد بن عبد الله السلمان، **رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، مكتبة المعلا، الكويت *1988*.

. محمد رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، ط*2*، دار الفضيلة، للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، *2003*، ج *1* ، ق*1* ، ص: *11*.

. محمد عبده، **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، ط *3*، دار الحداثة، بيروت، *1988*.

. محمد عبده، **الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني ورسالة الرد على الدهريين**، دار الشهاب والنشر، باتنة، الجزائر، 1982.

. محمد عبده، **رسالة التوحيد**، تقديم: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، *1994*.

. محمد عمارة، **المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده**، مكتبة الإسكندرية، مصر، *2005*.